حرب تطول النصب والتماثيل!

صلاح حسن

مفهوم الحرب الشاملة يجد تجسيده الكامل في عراق اليوم لانه يطال كل شيء في ارض العراق وسمائه . لقد خاض العراق حروبا كثيرة كما تعرض لحروب كثيرة ، ولكن الحرب الاخيرة هي الحرب الشاملة بكل ما تعنيه مفردة الشمولية . يقتل يوميا في العراق ستة وعشرون فردا ويجرح ضعف هذا العدد دون ان تتطرق التقارير الى حجم الدمار الذي تتعرض له البيئة بكل اصنافها الطبيعية والحيوانية والمائية والمعدنية . تبدو سماء بغداد محاطة بطبقة سميكة من الغازات السود نتيجة لاستخدام القوة متعددة الجنسية اسلحة غريبة تجرب لاول مرة مثل الفسفور المشع الذي استخدم في مدينة الفلوجة ، بالاضافة الى التخريب الذي تتعرض له الحقول النفطية وما تتركه من اثار مهلكة على البشر والبيئة . الحرب الشاملة وصلت الى النصب الفنية والتماثيل التي تنتصب في الكثير من ساحات بغداد وضواحيها وكانت بدأت بتمثال ابي جعفر المنصور مؤسس بغداد وبانيها بعد الكارثة الدولية في تدمير المتحف العراقي . هل هي حرب لنسف الذاكرة العراقية ؟

في العام ١٩٧٤ اراد الفنان الراحل خالد الرحال ان يضع نصبا لكلكامش في ساحة علاوي الحلة ويحيط به رموز كل قوى الخير والشر في العالم ولكن الرئيس الاسبق احمد حسن البكر الذي يطلق عليه العراقيون لقب الجاهل طلب منه ان يغير تفاصيل كثيرة في النصب مما اضطره الى الهرب خارج العراق . وبعد ضغط وترهيب وترغيب عاد مرة اخرى واكمل النصب رغما عنه .

وقبل اسبوعين اطلقت امانة بغداد برعاية هيئة اجتثاث البعث حملة لازالة جميع التماثيل التي انتجت في زمن الدكتاتور دون ان تستشير احدا من ذوي الشأن او تشكل لجنة مختصة لتحديد أي النصب ينبغي ازالتها خصوصا وان الكثير من الساحات والشوارع باتت تحمل اسماء هذه النصب والتماثيل. اما وقد أزيل نصب خالد الرحال، وقبله نصب المستنصرية فأن الانظار تتجه الى القبة المشطورة التي كان يطلق عليها اسم نصب الشهيد وهي من وضع الفنان الراحل اسماعيل فتاح الترك.

ويبدو ان المذكرة التي رفعتها وزارة الثقافة الى رئاسة الوزراء بضرورة التريث بتدمير النصب والتماثيل حتى تشكيل لجان مختصة قد اغلقت عليها الادراج ، خصوصا ان الكثير من العاملين في رئاسة الوزراء يعتقدون ان وجود التماثيل محرم، فهل وصلت الى العراق طالبان جديدة ؟ وهل ازالة آثار الدكتاتورية لاتتم الا بأستخدام وسائل الدكتاتورية ذاتها؟ ما حدث ويحدث في العراق كان قد حدث في ايطاليا والمانيا النازية، ولكن الحكومات التي جاءت بعد الحكم الشمولي لم تسحق مخلفات هتلر وموسليني وتزيلها من الوجود نهائيا، بل اسست لها متاحف خاصة لتذكر الاجيال القادمة بالفظاعات التي ارتكبها الدكتاتور ومقدار الالم الانساني الذي طال عددا هائلا من البشر . وبالتالي هي رسالة الى كل فنان قد ينخرط في تمجيد العنف والطغيان. الفنانون العراقيون، والنحاتون منهم بالتحديد، عبروا عن صدمتهم ازاء ما يجري وابدوا تخوفهم للجهات المسؤولة خشية ان يختفي التراث الحضاري للعراق بعد هذه الحملة التي تبدو مبيتة ومقصودة وامتدادا لحرب طائفية قد تنشب شرارتها في اية لحظة وتحرق الجميع .

الغريب في الامر ان الادارة الامريكية راعية الديمقراطية وقيم الحداثة والحرية لم تعلق على الموضوع ولم تحرك ساكنا ، وقد يبدو ذلك مناسبا لها في نشر ثقافة الماكدونالدز والبيبسي كولا في العراق الجديد.

قبل ان انهي هذه المقالة القصيرة اود ان اتقدم بأقتراح الى امانة بغداد وهيئة اجتثاث البعث حول تماثيل الدكتاتور مستمد من مشاهداتي في هولندا ، اذ توجد في احد شوارع العاصمة لاهاي منطقة لبائعات الهوى وقد وضع في منتصف هذا الشارع تمثال بالحجم الطبيعي للدكتاتور(ستالين) محاط بزنزانة صغيرة والى جواره مبولة. اقترح ان يوضع احد تماثيل الدكتاتور الفأر في مكان مشابه لذلك حتى يستطيع العراقيون المقهورون التعبير عن اشمئزازهم وقرفهم من هذا الوحش الذي حطم حياتهم وحياة ابنائهم . اما عن بائعات الهوى فأرجو ان لا يتصدى لي احد ويقول ان بلادنا خالية من العاهرات.

كلام ليس فارغاً

ريسان الخزعلي

❖.... الى سعدي يوسف
لك البلاد
لك البداية
اما البلادة... علّة في البادئين.
❖❖❖
انت تفهم في الـ... politics.
فمن يقول للشلال إخرس؟!
❖❖❖
نحن، نحن، فعلا رفاقك.
انت قريب من النبض..
قريب من النخل..
وغفلة التأريخ ما كانت..
على الاخضر/ اليانسون الطري عامدة..
وان
الرصاصة..
لن تكون واردة..
لك/ الليالي كلها/..
لك البلاد..
لك البداية.
ولنا قميصك.. لكل المشترين تبيعه.
إذاً..
انت تفهم في الـ politics.
ونحن رفاقك نحترس!

❖القصيدة تنويعات.. قد لا تكون متقاطعة.. على قصيدة سعدي يوسف: كلام فارغ/.. مع اشارات من شعره اشهر من ان يشار اليها..

غابت شمس الكاريكاتير في العراق
مات مؤيد نعمة

عبد الزهرة المنشداوي

على مدى عمر فن الكاريكاتير في العراق، وهو عمر قصير، لم يحظ هذا الفن بفنان استطاع ان يوظف الكاريكاتير من اجل قضايا الناس وهمومهم كما وظفها فناننا الراحل. لقد استطاع ان يضع يده على هموم الناس وتطلعاتهم وان يحيلها الى خطوط ناطقة تضحك وتبكي في الان معاً. قبل وفاته التي جاءت بغير اوانها كنت اعد العدة لكتابة موضوع عن اعماله اشير فيه الى مكامن موهبته في هذا النوع من الرسم، فالراحل قلما كان يلجأ الى استخدام الكلام لايضاح اهداف ما يرسم وكان يكتفي بالخطوط وحدها في ايصال فكرته كاملة للمتلقي، وان عمد في الاونة الأخيرة الى استخدام الكلمات فان الظروف التي يعيشها الوضع في العراق قد املت عليه ذلك. فاستعان بالكلمة والخط لانه اراد من فنه ان يكون شاهداً كامل الشهادة. وفي كل الأحوال لا اعتقد ان هناك من ريشة امضى وادق من ريشته.

كم من موضوع خطرت على بالي كتابته عن الوضع السياسي لكن خطوطه سرقته مني وعبرت عنه باقل ما يمكن .

اذا كان لفن الكاريكاتير في العراق شيطان يزعج أولئك المنافقين والسراق ودعاة السياسة الجدد فلا اعتقد ان هناك شيطاناً غير شيطان فن مؤيد نعمة.

تكاد اطلالته كل يوم على صفحة جريدة المدى تختزل الهموم والامنيات وتقول ما لم يجرؤ على قوله احد.

عودة الروح للأدب العراقي الساخر

نلمس في المشهد الثقافي ظواهر "عنقاوية" برزت من بين ركام ومخلفات الدمار البعثي في صلب الثقافة العراقية ، يمثلها رهط ،يعيد للذكرى أسم المرحوم شمران الياسري الذي قضى بحادث مرور مريب ، بعد أن نفي إلى جيكوسلوفاكيا من قبل سلطة البعث مع رفاقه الشيوعيين حيث كان يمثل مدرسة أدبية ، تستلهم الهاجس الشعبي التراثي وتسقطه على واقع قلق ينذر بكوارث أتت تباعا.

د.علي ثويني

كان(أبو كاطع) "هكذا كان يكنى"، يكتب في جريدة الشيوعيين (طريق الشعب)، وكنا شبابا نتلهف لقراءتها لوالدينا،بما كانت قنطرة معلوماتية تجانس بين عقليتنا وإدراكنا وإنفتاحنا وعقليتهم المتواضعة. لقد استغل معرفته ببواطن العقلية العراقية الفلاحية الجنوبية واستعمل شخصية (خلف الدواح) وجملة مفردات من منسي حياتهم،أو متناساها حينما أستعيب عليهم أن يطرقوه في ثقافة المدينة المتبغددة، لإيصال رسائله المباشرة إلى مداركهم، والأنكى في تلك الظاهرة أنها أرقت و أقضت مضجع البعثيين، الذين ضاقوا به ذرعا.فشكوه لرفاقه(الحلفاء) وقيادته النائمة في عسل (الجبهة) وأضوائها ، فاضطروا الى إفتعال حصوله على بعثة دراسية في جيكوسلوفاكيا،فذهب ولم يعد.

لقد حذر الياسري من مغبة الثقة بذئاب البعثيين، وكرر مقولة (الذيب ذيب حتى لو غطيته بالحليب)، فقد كانت حاضرة في ذهنه مذابح العراقيين من الشيوعيين وغيرهم بعيد إنقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، وأدرك بحكمة ولبابة، بان لظاها لايمكن أن يكون عابرا بل متأصل وقابل التكرار. وأمست نبوءته بمحلها، فقد اغتصب البعثيون البلاد والعباد ونهبوا مستقبلها، وأستحوذوا على الرقاب و اغتصبوا حرائر العراق في أقبية الأمن العامة، لاسيما الحرائر الشيوعيات، ولم يصغ لصوت إستغاثاتهن،بعدما طغى عليه صوت أغنية (شيلي تمر بالليل نجمه بسمانه) شعر النعماني ولحن جعفر حسن، بعدما أعلن رفاقهن المتقدون حرقة لمناصرة السوفيت على الملأ، بأن شيلي ونيكاراغوا اهم من إغتصابهن أو نياح الثكالى أوبكاء الوطن ونحيبه، و حاكوا بفعلهم هذا دجل البعثيين، حينما أمست فلسطين والصومال وموريتانيا لديهم أهم من العراق والعراقيين.

لم يكن الأدب الهزلي الغامز جديدا في طرقه ،فقد سبقته محاولات منذ نشوء أول نشاط نشري عراقي منذ نهاية العشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين كما هي جريدة حبزبوز وغيرها. وأطلعنا عليها في طفولتنا في الستينيات من خلال مجلتي (الفكاهة) و(المتفرج)، حتى جاء البعث فمنع التوجهات والمبادرات الشعبية ، وأحل محلها برامج مقولبة وخطاباً (شمولياً) تراد منه أهداف محددة. وكان (ابو كاطع) إستثناء أملته تنازلات البعثيين في حقبة بناء سلطتهم. ونجد اليوم بقايا من تلك المدرسة الساخرة ماكثة في كتابات خالد القشطيني، التي تهاجنت في غربتها الطويلة مع الأدب الأنكليزي الساخر، فاثرت ملكاتها ،وهذبت توجهاتها.

وهنا نرصد أن الكاتب الساخر يلجأ إلى الرمزية العالية الحذرة و المنمقة واللماحة، بحيث يمكن أن تفسر وتؤول بحسب السجايا والطبقات الذهنية، مثلما هي (فلسفة بيدبا) في كليلة ودمنة. والرمزية هنا أسلوب يلجأ إليه الفنان والأديب لإخفاء ما يخاف أن يعلن ويفصح عنه ، وهي (باطنية) إبداعية، لها الفضل في تحريك المدارك وتشغيل الذهن، وتتداعى إلى تهوية مكبوت النفس .

لم يكن شمران الياسري مطلعا على حركة الفكر العالمي والعلوم الحديثة، فكتب بأفق حزبي وكان هاجسه وخشيته وأيديولوجيته، لجمت الكثير من حرية فكره. بيد أن الجيل الجديد من الساخرين غير "مؤدلجين"، ثم انهم أطلعوا وقرؤا وتوسعت مداركهم وجلهم له إختصاص علمي،أكسبه المنطق والعمق .فها هو وجيه عباس يحلل بمعطيات الفلسفة في البنوية والتفكيك، و (شلش) ينقلنا إلى خيالات وفنطازيات تنم عن إطلاع وسعة أفق، يسقطها على واقع ضيق لمجتمع مدينة (الثورة) البغدادي، القابع على هامش التاريخ والجغرافية والمجتمع، والبعيد عن فذلكة الباحثين والمنظرين النفسيين والإجتماعيين، حتى لتوحي و تشجع بعضها بأن تستلهم أو توظف في أعمال درامية في المسرح والسينما أو توسع حيثياتها ومقياس رسمها لتكون مادة روائية دسمة.

وأجزم هنا بأن لو أنبرى أحد (أصحاب البرج العاجي)، وجد وأجتهد محاكيا ما قام به (حنا بطاطو) لتحليل معطيات المجتمع العراقي، لقادته أقدامه وأستند في بحوثه إلى معطيات (شلش) الذي نقل لنا ما لايلمس ويرى في نفوس تلك الشريحة التي تشكل (تسع) نفوس الأمة العراقية. .إن إدراك اللمحات الاجتماعية موهبة تشبه إلتقاط الراديو الموجات غير المسموعة من البشر، كما هي لماحية المرحوم (علي الوردي) في لمحاته.

وهنا يجدر تلمس أن ذلك الرهط من الأدباء يمت الصلة بخلفيات فلاحية (جنوبية)، أزدرتها سلطة البعث ومن سبقها من الأعراب والأتراك، وأشاعت حالة من الإستنكاف حيالها، أنعكس على حالة إشمئزاز منها. فحينما يقول (جنوبي) كأنك تذكر (منبوذي الهند) ،وكأن هؤلاء قدموا من المريخ فأبتلي بهم العراق، ونعلم جميعا ما روج له العروبيون بأنهم قدموا مع جواميسهم من الهند ،قفزا على سومر وأكد وبابل.

وقد سعى مثقفو (الجنوب) الى أن يثبتوا الجدارة ويدحضوا ذلك المسخ، ويشقوا طريقهم ليرتقوا بكفاءة المنزلة الاجتماعية التي تبقى ديدن البشر، عابرين على قنطرة مواهبهم وخيالهم ووسع مداركهم وهامش التحصيل العلمي الذي حصلوا عليه،والاهم في ذلك هو تقمصهم روحين ،وحملهم ثقافتين ربما متناقضتين، فاثرت الواحدة الأخرى ، حتى أكسب تراكم وتداخل حيثياتها ثراء فوق ثراء تداعى إلى أن يشكلوا استثناء إبداعيا ،يجتذب الباحثين عن العمق والبساطة في الطرح.وهكذا شكلوا اليوم العمود الفقري للثقافة والإبداع العراقي دون أدنى ريبة.

ويمكن أن يكون صعود نجم الأنترنت عاملا مساعدا لظاهرة النقد الساخر الجديدة ، متناغما مع هامش الحرية المتاحة،التي لايجدها الكاتب على الورق المطبوع في بغداد، ،حينما وضعت القيود وحدد هامش النقد من قبل القوى الظلامية (الطائفية والقومية) التي ورثت عقلية البعث. وهكذا فان متنفس هؤلاء أتى من رئة أنترنيتية ،كونهم راصدين ،وملاحظين ومحللين للوضع السياسي الشائك، يوجهون له النقد اللاذع لاسيما ظاهرة طفح (الفقاعات السياسية) أفكاراً وممارسات وشخوصاً، التي تحرسها وتروج لها جماعات مسيرة ومرتزقة .

وفي الجانب المادي فأن هؤلاء المبدعين لايسترزقون من إبداعهم ومواهبهم،لذا فهم يعانون الفاقة،و أنعكس الأمر على حال جيوبهم، بما لم يمنع جذوة المكارم ونداءات الضمير في دواخلهم و إلتقاطهم هواجس العامة، وامسى مسعاهم متنفساً لبواطن الذات الحبلى بالهموم، ومقصدهم إسماع الصوت المدون. وهكذا تبوأوا المكانة التي يستحقونها في حركة الفكر الاجتماعي ،حينما تبع صدق في الوسائل وحسن في الغايات .

لقد مزج وجيه وشلش وقبلهم المرحوم شمس الموسوي ورهطهم الجد بالهزل، موشى بروح الدعابة الفلاحية وأخضر السجايا وعفوية وتلقائية ،يؤطرها عشق للناس البسطاء وإخلاص لإنسانيتهم ،مع لماحية بقراءة الدواخل المسترسلة من الثراء الثقافي الشعبي المتراكم ،ومعلنين امتعاضا من التهميش الإجتماعي. كل ذلك واشجوه وواءموه مع هموم المدينة وحالة التوجس وروح الغرور والنفاق ونفخيات وتجمل وتبغدد يعلن عن فحوى سطوة الشكل على المضمون، التي تسير عقلية أهلها .

كل تلك الحبكة أنتجت أدبا جميلا ،يعيدنا إلى حركة فكرية تصاعدية أتت من صلب الثقافة العراقية، كانت قد توقفت على يد عفلق وطلفاح وصدام وعصابتهم. ،وإذ ينتابني شعور حين أقرا لوجيه أو شلش بأنهم ينقلون لي الصورة الحقيقية الصادقة للروح العراقية المرحة المحبة للحياة والصابرة والباحثة عن الحقيقة، والقافزة فوق بيئة نفسية تتداول وتتعامل باللوعة والشكوى والألم والملامة. وأجد أن كتابات هذا الرهط تقتنص الفرح من الحزن وتستجلب الدعابة من الكآبة، وتبث الفرح والتفاؤل في النفوس التي أعياها الهم، وترسم الابتسامة في عالم عاهر يسكت عن المهازل ،يقيم ولا يقعد الدنيا على تفجيرات عمان، ويطبق أخرس حينما يستباح الدم العراقي ، ويغمز مؤيدا للتفخيخ البعثي- الأصولي داعيا إياه (مقاومة)، متشفيا بقتل الأبرياء من أهلنا ومتلذذا بمشاهد أشلائهم.

وجيه عباس